القضية الرابعة

أطفال الشوارع قنابل موقوتة

أطفال بلا هوية

أطفال اليوم هم شباب الغد .. رجال المستقبل .. علماء وحكماء الوطن والأمة. هم الذخيرة الحقيقية التي تحدد قوة الوطن وقدرته على المشاركة في رسم خريطة العالم وصنع حضارته.

ولذلك تعدّ القضية التي سنعرض لها خلال السطور القادمة قضية مهمة ومتعددة الجوانب، ولكن أهم ما يميزها ويمكن أن توصف به؛ أنها قضية خطيرة، وترجع خطورتها إلى كونها تتعلق بذخيرة الأمة، تتعلق بالطفل.

فكما يؤكد الخبراء فإن مرحلتي الطفولة والمراهقة تمثل أهم المراحل العمرية على الإطلاق؛ حيث تغرس المفاهيم والقيم والمبادئ، التي تتبلور مع الوقت لتفرز للمجتمع شخصية فاعلة ومؤثرة وإيجابية، تضيف وتشارك وتسهم في إرساء دعائم مجتمع قوي.

ولكن، وبكل أسف فإننا نصادف يوميا ونرى أطفالًا تائهين في الشوارع، يسيرون بلا هدف، ولا تعرف لهم هوية؛ فهم هائمون سارحون بلا غاية، وإذا تأملتهم وجدت ملابسهم رثة وقذرة، لا دليل لهم ولا قدوة، ولا مثل أعلى. تراهم يعبثون بكل شيء، ويسرقون كل شيء؛ فهم ينشلون كل ما يمكن أن تصل إليه أيديهم وأعينهم.

هذه الفئة من الأطفال لا مأوى لها ولا سكن؛ فهم يفترشون الأرصفة، وينامون أسفل الكباري، يلحفون ببعضهم طلبًا للدفء والأمان، ويتخذون من الأماكن المهجورة والمشبوهة مرتعًا لهم، ونواديًا يجتمعون فيه.

أسباب ظاهرة أطفال الشارع

أولا: أسباب خاصة بالأطفال أنفسهم

وهي أسباب تدفعهم إلى الشارع، وتتمثل في الآتي:

1- الميل إلى الحرية والهروب من الضغوط الأسرية.

2- غياب الاهتمام باللعب والترفيه في داخل الأسرة والبحث عنه في الشارع.

3- اللامبالاة من جانب الأسرة وعدم الاستماع الى الطفل والتحاور معه وتلبية حاجاته.

4- حب التملك فالشارع يتيح له نوع من العمل أيا كان ولكنه يدر دخل وقد يكون هذا العمل تسولًا أو إتيان أعمال منافية للحشمة والآداب

5- عند بعض أطفال الشوارع يكون عنصر جذب بما فيه من خبرات جديدة ومغامرات للإشباع العاطفي.

ثانيًا: أسباب أسرية

وهي أسباب تتمثل في الآتي:

1- اليتم: فقدان أحد الأبوين أو كليهما قد يكون سببًا في ضعف الرقابة على الأطفال ومن ثم انحرافهم أو خروجهم للشارع.

2- **الإقامة لدى الأقارب:** بسبب اليتم أو التصدع الأسرى أو غياب الأب أو الأبوين للعمل في الخارج وقد يؤدي ذلك أيضا إلى ضعف الرقابة أو التعرض للعنف ثم الهرب للشارع.

3- **التفكك الأسرى:** وتشتت الأبناء بين الأب والأم في النهاية يدفع بهم إلى الشارع.

4- **القسوة:** سواء من الأبوين أو من الأقارب والمحيطين أو حتى من المدرسة.

5- العنف داخل الأسرة.

6- التمييز: بين الأبناء داخل الأسرة الواحدة يولد الغيرة بينهم و قد يدفع الأبناء للهرب إلى الشارع.

7- الجيرة: فقد تؤدي الإقامة في أحياء شعبية ذات طابع خاص إلى معاشرة مجموعة من الأشخاص المنحرفين.

8- **عمل الأب أو الأم:** في بعض الأحيان يكون الأب أو الأم يمارسون عمل منحرف وذلك يسبب في انحراف الأبناء واحترافهم للعمل نفسه.

9- هجرة أو سفر: العائل لمدة طويلة.

10- **الإدمان:** وآثاره المدمرة على الأسرة وأفرادها.

11- **كثرة النسل:** وتلازمه مع سوء الحالة الاقتصادية.

12- **التقليد:** خاصة إن قرناء السوء يدعون الأبناء إلى الخروج للشارع للعمل والكسب وتقليد الكبار.

ثالثا : أسباب اجتماعية

وهي أسباب تتمثل في الآتي:

1- الهجرة من الريف إلى المدينة: في الريف تنقص الخدمات وفرص العمل والترفيه مما يشجع الأطفال على النزوح من الريف إلى المدينة ليكسبوا عيشهم .

2- التسرب المدرسي: أساليب التعليم المتشددة. كما أن بعض الأسرة ولعدم قدرتها على مواجهة المصاريف والأعباء المدرسية تدفع بأطفالها إلى ترك المدرسة

3- **الظروف الاقتصادية (الفقر):** إن الأسرة الفقيرة ليس بمقدورها أن توفر الحاجات الأساسية من مأكل وملبس وعلاج لأطفالها مما وتسمح لأطفالها بالعمل في الشارع للمشاركة في تأمين كلفة الأعباء الحياتية.

4- الاعتماد على الأطفال في القيام ببعض الأعباء الأسرية وخاصة البنات اللواتي يتعرضن الى العنف والقسوة أثناء الخدمة بالمنازل.

مسئولية الأسرة والمجتمع

هؤلاء الأطفال رغم حداثة سنهم يحاولون تقليد الكبار؛ فهم يدخنون السجائر، ويشمون بأنوفهم ما يستطيعون الحصول عليه أو يملكون ثمنه، أو تصل إليه أيديهم، وهو في أحسن الأحوال .. "الكُلة".

ترى أعينهم زابلة، ونظراتهم زائغة، وقد سرقت من أعينهم البراءة. سرقت منها الطيبة، سرق منها الحنان والأمان، سرق منها الحب، سرق منها الطموح، سرق منها الأمل، سرق منها المستقبل!

فمن الذي سرق البراءة من عيونهم؟

من الذي سلبهم الحب والحنان والأمان؟

من الذي حطم البسمة على شفاههم؟

من الذي دفعهم إلى عالم النشل والجريمة؟

من الذي دفعهم إلى ممارسة التدخين والشم؟

من الذي قضى على طموحاتهم وآمالهم؟

وفي الحقيقة، فإن هذه التساؤلات تدفعنا إلى أن نتساءل عن الأسرة ودورها المفقود في هذا الزمان، وهي الخلية الأولى في المجتمع؛ فإن صلحت صلح، وإن فسدت فسد، وهو بكل أسف ما حدث اليوم.

وفي ضوء ما سبق يجب أن تتغير التساؤلات لتصبح:

- هل غياب رب الأسرة (الأب) بحثًا عن المال في دول الخليج؛ هو السبب المباشر لما حدث ووصل إليه حال هؤلاء الأطفال؟
- أم أن خروج الأم إلى العمل، وغيابها عن البيت لفترات طويلة هو السبب الحقيقي لتشرد هؤلاء الأطفال.
- أم أن الخلافات الزوجية، وما يصاحبها من طلاق وانفصال، وكذلك

زواج الأب بغير أم أولاده أو العكس؛ هي السبب الفعلي لحدوث هذه الظاهرة.

- أم .. وأم .. وأم ...

وفي الحقيقة؛ فإنه يمكن القول بأن هذه العوامل جميعها وغيرها مما تبثه وسائل الإعلام المختلفة يوميًّا وكل ساعة ودقيقة؛ هي السبب الحقيقي لما وصل إليه هؤلاء الأطفال، وما صاروا فيه.

وهذا كله يجعلنا نبحث عن الدور الذي تقوم به أو يمكن أن تقوم به، أو يجب أن تقوم به؛ كل من الجهات التالية:

- وزارة الشئون الاجتماعية.
- وزارة الصحة والسكان.
- وزارة الشباب والرياضة.
- وزارة الإعلام.
- وزارة الثقافة.
- وزارة الداخلية.
- إدارات الأحياء.

أطفال الشوارع ظاهرة عالمية

تشير الدراسات التي أجريت على أطفال الشوارع؛ إلى أنهم تركوا أسرهم وخرجوا إلى الشارع لعدة أسباب؛ منها: الزيادة في معدلات المواليد، أو التفكك الأسري وانفصال الأب والأم، وزواج كلٍّ منهما بغير الآخر، أو وفاة أحد الوالدين أو كلاهما، أو نشوئهم في ظل ظروف أسرية واجتماعية صعبة، أو كونهم أطفال لقطاء، نبذهم المجتمع، وأحسوا بالضياع.

وقد أفادت الدراسات[1] بأن ظاهرة أطفال الشوارع هي ظاهرة عالمية، تباينت التقارير حول حجمها وطبيعتها؛ إلا أن أعدادهم في مصر تتزايد يومًا بعد يوم مما يهدد سلامة المجتمع وأمنه وتطوره؛ فقد وجد أن هؤلاء الأطفال يتصفون بعدد من الصفات غير السوية مثل: ضعف الانتماء، وانعدام القيم والمبادئ، والشعور بالظلم، والرغبة في الخروج على القانون، والعناد بصفة عامة.

وتؤكد الدراسات أن أسباب تزايد هذه الظاهرة يرجع إلى المجتمع والأسرة معًا؛ فالأسباب الخاصة بالمجتمع تتمثل في: الهجرة من الريف إلى المدينة، والتسرب من التعليم، والفقر، والبطالة، وعدم وجود فرص متاحة للعمل، والأوضاع الاقتصادية السيئة. أما الأسباب الخاصة بالأسرة؛ فتتمثل في: ضعف الرقابة على الأبناء بسبب غياب الأب أو الأم أو كليهما، والتفرقة بين الأبناء في المعاملة، وكثرة عدد الأبناء، مع الظروف الاقتصادية الصعبة للأسرة، والقسوة المبالغ فيها عند معاملة الأبناء.

أطفال الشوارع بؤر إجرامية

حذرت دراسة حكومية نشرت مؤخرًا؛ من ظاهرة انتشار أطفال الشوارع، وذكرت أن عدد الأطفال الذين تم ضبطهم بمدينة الإسكندرية وحدها خلال شهر نوفمبر عام 2002م؛ بلغ 1678 طفلًا، ألقي القبض عليهم في حالة تشرد. وأطفال الشوارع ظاهرة خطيرة تعاني منها العديد من الدول، ولعل البرازيل هي أكثر الدول تعرضًا لهذه الظاهرة حيث يقدر عددهم بالملايين؛ ينتشرون في الشوارع، ويهددون أمن المواطنين والسياح.

وبصفة عامة تؤكد الدراسات أن سلوكيات هؤلاء الأطفال تتسم بالانحراف؛ مما يشكل قسوة وخطورة على المجتمع. وتكمن الخطورة في أن هؤلاء الأطفال يهيمون في الشوارع بلا هدف، ويكبرون مع الحرمان والحقد على المجتمع؛ حيث يعيشون في

(1) دراسة قامت بها جمعية أطباء الطفولة بالقاهرة، ورئيستها الدكتورة/ سعدية بهادر.

ظروف بيئية واجتماعية غير صحية، فيتحولون إلى لصوص ومجرمين وقتلة يطاردهم رجال الشرطة، ويكونون بؤرًا إجرامية تصبح مصدر خطورة على أمن الوطن والمواطنين، وتمثل داءً خطيرًا وجزءًا مصابًا لا يشفى الجسد إلا بالتخلص منه وبتره.

ويتعرض أطفال الشوارع لمخاطر عديدة وكثيرة؛ منها: عدم الالتحاق بالتعليم، أو التسرب منه، والجوع، والاستغلال الجنسي، وممارسة النشل، والتعرض للأمراض المختلفة، واستغلال العصابات لهم، والبلطجة، واستخدام القوة في تحقيق الأهداف والغايات غير النبيلة، هذا بالإضافة إلى مخاطر وجودهم المستمر على الطرق بلا ضابط، وفي أوقات متأخرة، وفي أماكن مشبوهة.

أطفال الشوارع قنابل موقوتة

وهكذا نجد أن أطفال الشوارع ما هم إلا قنابل موقوتة، يمكن أن تنفجر في أي لحظة، وفي أي مكان، وقد ينتج عنها جريمة أو جرائم ترتكب وتصيب الآمنين من المواطنين، وتهدد أمن الوطن.

ويمكن القول بأن هذه القنابل الموقوتة تهدد العالم بأثره، وخاصة الدول النامية. وبالطبع فإن من بين هذه الدول مصر؛ فقد وجد أن هذه الظاهرة سريعة الانتشار، وهي تزداد يومًا بعد يوم مما يهدد مسيرة التنمية المنشودة في بلدنا الحبيب.

ففي مصر بدأنا نلاحظ هذه الظاهرة مؤخرًا؛ حيث يقف الأطفال على النواصي وفي الميادين الهامة، وخاصة بالأماكن التي يتردد عليها السائحون من أماكن أثرية، أو بجوار المساجد الكبيرة ليتسولوا ويطاردوا عباد الله بإلحاح، وقد تمتد أيديهم الصغيرة بالسرقة، وهي ظاهرة تسيء إلى مصر وسمعتها لدى زوارها من العرب والأجانب، كما تؤذي مشاعر المواطنين أنفسهم.

وفي الحقيقة وفي رأي الشخصي؛ فإن هؤلاء الأطفال معذورون، فهم ليسوا مسئولين عن خطأ من أنجبهم وتخلى عنهم، وتركهم وهم في هذا العمر يهيمون في

الشوارع على وجوههم بحثًا عن مأوى، أو بحثًا عن لقمة العيش، حتى ولو كانت بالحرام، أو تسببت في ارتكاب جريمة.

مواجهة ظاهرة أطفال الشوارع

من المؤكد أن مواجهة هذه الظاهرة ومحاولة القضاء عليها وعلى أسبابها ونتائجها؛ لا تكون بالقسوة والعنف، وإنما تكون عن طريق جمع هؤلاء الأطفال ورعايتهم، وإعادة تأهيلهم في أماكن خاصة مناسبة، تؤمن لهم الغذاء والكساء والبيئة الصالحة، وتمنحهم قسطًا من التعليم أو التدريب الذي يؤهلهم للعمل الشريف، والاندماج والانخراط بين صفوف الأفراد الطبيعيين والمنتجين من المواطنين، ويجب الاستعانة بالمتخصصين والأخصائيين وعلماء النفس لوضع خطة واستراتيجية محددة الملامح لتحقيق الهدف المنشود.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التشريعات القانونية الخاصة بظاهرة أطفال الشوارع – كما يقول وكيل أول وزارة الشئون الاجتماعية[1] – هي تشريعات عقيمة لا تستطيع أن تحدّ من هذه الظاهرة؛ ولذلك فنحن بحاجة إلى تشريع جديد، وبرامج متعددة لهذا القطاع الذي يهدد مستقبل الحياة الاجتماعية والتنمية المنشودة في بلدنا الحبيب .. مصر.

ولاحتواء هذه الظاهرة جاء اهتمام السيدة سوزان مبارك بوضع استراتيجية قومية تشارك فيها الوزارات والجهات المعنية لإعادة دمج أطفال الشوارع في المجتمع.

وفي إطار الاستراتيجية التي تم الانتهاء منها، والتي أعلنت في شهر مارس 2003م؛ تكاتفت كثير من الجهات والوزارات لعقد الندوات، وعمل كثير من الدراسات والأبحاث، وإقامة العديد من الحلقات النقاشية؛ ليس للتوعية فقط، ولكن للوقوف على الأسباب، وإيجاد الحلول العملية والمناسبة.

---

(1) جريدة الأهرام، العدد 42454، الأحد 2/ 3/ 2003م، ص2.

وتقوم جمعية قرية الأمل لرعاية أطفال الشوارع بدور مهم في رعاية الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة؛ ففي عام 1990م ولدت فكرة مواجهة ظاهرة أطفال الشوارع، وتم افتتاح مركز الاستقبال بالجمعية؛ حيث يستقبل هؤلاء الأطفال، ويقدم لهم الخدمات المختلفة بدون مقابل كوسيلة لكسب الثقة، والتعرف على أسباب وجودهم في الشارع، وحل مشكلاتهم الأسرية والاقتصادية، عن طريق منح قروض صغيرة بضمان وجود الطفل في الأسرة، ومتابعة الحالات التي يصعب فيها إرجاع الطفل إلى أسرته، وتحويلها للإقامة بالجمعية؛ لتأهيلها تعليميًّا واجتماعيًّا ومهنيًّا ونفسيًّا للاندماج في المجتمع مرة أخرى.

سيارات مجهزة لأطفال الشوارع بالقاهرة

في سابقة تعدّ الأولى من نوعها في جمهورية مصر العربية؛ بل وفي منطقة الشرق الأوسط، تقدم جمعية "قرية الأمل" خدمات مباشرة لأطفال الشوارع في أماكن تجمعهم، عن طريق تجهيز سيارة متنقلة تضم فريق عمل مكون من أخصائيين نفسيين واجتماعيين وأطباء من جميع التخصصات؛ لتقديم الخدمات الصحية لهم، بالإضافة إلى تقديم وجبات ساخنة وخدمات ترفيهية؛ من أجل كسب ثقة هؤلاء الأطفال تمهيدًا لإزالة الأسباب التي أدت لهروبهم من أسرهم؛ ومن ثم إعادتهم مرة أخرى وتحويلهم إلى مواطنين صالحين.

وكانت الجمعية قد وقعت عقدًا – أخيرًا – من خلال مشروع "مبادرات الحماية الاجتماعية"؛ بينها وبين وزارة الشئون الاجتماعية والبنك الدولي. وقد بدأت الجمعية نشاطها من خلال مركز واحد للإيواء، وبتطور نشاطها أصبحت تخدم الأطفال من خلال 9 مراكز منتشرة في أنحاء القاهرة الكبرى والعاشر من رمضان، موزعة كالتالي:

- رعاية من خلال ثلاثة مراكز لاستقبال أطفال الشوارع بمناطق شبرا والسيدة زينب وروض الفرج.

- رعاية وإقامة مؤقتة من خلال مركزين بمنطقتي حدائق زينهم والمقطم.
- رعاية وإقامة دائمة من خلال ثلاثة مراكز بمنطقة مدينة نصر.
- مجمع كامل بالعاشر من رمضان لإسكان الشباب من أولاد صغيرة؛ للتدريب على بعض الحرف، بالإضافة إلى بعض المشاريع الإنتاجية المدرة للدخل، مع توافر فرص للأولاد للتدريب والعمل بالمصانع المحيطة.

وعمومًا فالجمعية تقدم خدمات تعليمية وبرامج اجتماعية وأسرية، ورعاية صحية وترفيهية وثقافية ودينية، كما تهتم أيضًا باللياقة البدنية للأطفال[1].

مقترحات لحماية أطفال الشارع من التعرض للعنف

- عند التعامل مع مشكلة العنف الداخلي يجب مخاطبة الأسر وإقناعهم بالعمل على حُسن تربية وتنشئة أبنائهم مع الابتعاد عن سوء المعاملة والعنف ويمكن عند التعامل مع الآباء توضيح أنه ليس من المنطق أو حتى من العدل أن يرضوا المعاملة السيئة لأبنائهم إذا كانوا لا يرضونها لأنفسهم ويجب أن يتم الحوار دائمًا في ضوء المعتقدات الدينية والثقافية.
- تختلف آثار الاعتداءات الجنسية بشكل كبير مع اختلاف السن والنوع والتجربة والعوامل الخارجية التي أحاطت بها ولذلك فإنه على الأخصائيين النفسيين التعامل مع كل حالة على حدة وبطريقة فردية ومنفصلة وواجب الأخصائي هنا هو مساعدة الطفل على الكلام والخروج من حالة السلبية واستعادة ثقته بنفسه وذلك من خلال تقليل حالة الشعور بالذنب واحتقار الذات والنفور من الآخرين.

(1) جريدة الأهرام، العدد 42454، الأحد 2/ 3/ 2003، ص2.

- بما أن معظم أطفال الشارع اكتسبوا سلوكهم العدواني من الأسرة أو الشارع لذلك يجب توفير جو هادئ للطفل داخل المراكز والمؤسسات التي تتعامل معه مع التأكيد على ضرورة تعليم الأطفال أساليب فض المنازعات بالطرق السلمية من أجل الابتعاد عن العنف.
- يجب اتخاذ إجراءات وقائية من أجل منع تكرار الاعتداءات الجنسية على الأطفال ولابد من التذكير على دور الأسرة والمجتمع والأطفال من أجل حماية أنفسهم حيث يجب القيام بحملة توعية للعامة من أجل الحد من استخدام العنف.